وليم شكسبير في الادب الحديث

ثار نقاش شديد في الأوساط الأدبية حول ترجمة مسرحيات وليم شكسبير إلى العربية . ولست أحب في هذا المقال أن أخوض في هـذا النقاش . انما أحب أن أبين أثر شكسبير في الأدب العربي الحديث . إذ أن فضل شكسبير ليس وقفاً على الأدب الانجليزي انما تعداه إلى الآداب العالمية جميعاً ومنها أدبنا العربي الحديث . وأثر شكسبير على العربي يمكن أن نقسمه إلى ناحيتين الناحية الأولى ناحية متصلة بالنثر وهي الترجمة . والناحية الثانيـة تتصل بالتأثير في الشعر العربي .

ومسرحيات شكسبير لا يجد فيها الانجليزي متعة فحسب إنما يجد فيها القارئ هذه المتعة في شتى الأقطار والأمصار . لأنه يجد في شخصياتها اناساً يشعرون بمثل شعوره ويتحركون بمثل اتجاهاته في التفكير ، فهي موضوعات انسانية تمس النفس الانسانية مساً رفيقاً رشيقاً .

وقامت جهود أدبية كبيرة منذ مطلع النهضة الأدبية الحديثة لترجمة هـذه المسرحيات ومنذ نصف قرن تقريباً عني الأستاذ ابراهيم زكي من كبار موظفي المالية وقتذاك بترجمة ثمان من روايات شكسبير ثم نشر اسماعيل (أفندي) عبد المنعم الموظف بوزارة المالية كتيباً في ١٢٠ صفحة صغيرة الحجم لخص فيها بعض مسرحيات شكسبير . ورغم أن عرض المؤلف كان موجزاً كل الإيجاز فقد وجد فيه المتعطشون إلى الثقافة الاجنبية شبئاً يزيدون به ثقافتهم ويلونون به تفكيرهم ولا سيما أنهم قرأوا فيه مسرحيات شتى لشكسبير هي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

روميو وجوليت و كوريولانس ويوليوس قيصر وماكبث وهملت وعطيل والملك لير وصدرها بمقدمة وصف فيها هذه الروايات فقال (وقد اخترنا من رواياته ذلك النوع المعروف بالمأساة لأنه برع فيه وأبدع ايما ابداع و كأنه غاص في سويداء القلوب ووقف على أخلاق الناس وأظهر ما تكنه الضمائر وباح بما هو في طي الكتمان فسطرها من أنفاس العاشقين وعبرات البؤساء وأرانا فيها أشكالاً متضاربة من الطبائع وصوراً شتى من العادات فهذب النفوس وقوم الأخلاق وثل بها عروش الظلم وقوض دعائم الاستبداد .

وترجم طانيوس عبده رواية هملت و كان طانيوس شاعراً ناثراً متفننا في كلتا الصناعتين ، جيد الملكة لطيف التخيل عصري المعنى مستعذب اللفظ ، اكسبته رواياته شهرة بعيدة بين قراء العربية ، وأنزله شعره منزلة كريمة بين أماثل الشعراء ومن مترجماته عن شكسبير مسرحية هملت ؛ وامتاز بتمثيل دور هملت سليمان أفندي القرداحي والشيخ سلامة حجازي ومحمد بهجت .

و كانت مسرحية (عطيل) أول رواية مثلت لشكسبير على المسارح العربية في مصر وترجمت باشارة سليمان أفندي القرداحي ومثل فيها سليمان أفندي دور البطل وقام بهذا الدور بعد ذلك أحمد فهيم ومحمد بهجت كما قام جوق اسكندر فرح بتمثيل هذه المسرحية فأحرز في تمثيلها نجاحاً منقطع النظير .

وترجم محمد عفت القاضي في المحاكم الأهلية مسرحية (ماكبث) و كان يمتاز إلى جانب عقليته القضائية الممتازة بذوق أدبي رقيق وحس فني مرهف ؛ فأقبل على ترجمة مكبث بشغف ونهم . و كان عفت يحسن قرض الشعر وله فيه قصائد جيدة فنظم مكبث بالشعر وحاول أن يحافظ على روح النص محافظة دقيقة . والملاحظ في ترجمة محمد عفت انه لم يحذف منها شيئاً اللهم إلا إشارات بسيطة جداً كان لا بد من حذفها في النص العربي لأنها لا تناسب ذوق القارئ في البلاد العربية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولما عاد الممثل الكبير جورج أبيض من الخارج وتشبع بروح المسرح الأوربي وأراد أن يقوم بنهضة مسرحية في مصر طلب من الأستاذ خليل مطران أن يقوم بترجمة بعض روائع شكسبير . وفعلا أقدم مطران على الترجمة وقدم للمسرح المصري ماكبث وهملت وعطيل وتاجر البندقية والعاصفة وريشارد الثالث والملك لير ويوليوس قيصر .

وجدير بالذكر أن مطران كان يترجم عن الفرنسية ولذلك وجدنا بعض الاختلاف عن النص الانجليزي الأصلي . كما أن مطران حذف كثيراً من المشاهد والتفاصيل في مسرحياته . ومثال ذلك أنه ادمج فصول هملت الخمسة في أربعة وحذف مشهد الجنيات في الفصل الأول من مسرحية مكبث وحذف بعض المشاهد مثل المشهد الثالث في الفصل الثالث . إلا أن ترجمة مطران في واقع الأمر دقيقة جميلة الأسلوب حسنة السبك . ترتفع في بعض المشاهد إلى ذروة الأدب الصافي الرفيع . ولولا أن مطران ترجم عن الفرنسية لبلغت ترجمته أعلى درجات الكمال الفني .

ومن الذين عكفوا على ترجمة مسرحيات شكسبير كذلك الأستاذ عوض محمد والأستاذ عوض ابراهيم والأستاذ ابراهيم رمزي والأستاذ محمد حمدي وترجم الأستاذ سامي الجريدبني المحامي روايتي يوليوس قيصر وهملت وصدر اولاهما بمقدمة جاء فيها (ولم أفكر قط في الاقدام على ترجمة هذه الرواية لو لم يكن لي من عطيل أكبر مشجع لبس لأني ممن يجرون في مضمار خليل مطران ولكن تشبها بالكرام . فخليل مطران على ما أعتقد أقدر عربي يستطيع ترجمة شكسبير ولعله أول من ترجمه ترجمة حقيقية ..)

ولم يكن أثر شكسبير قاصراً على الترجمة فحسب انما شاع في شعر الشعراء وأخيلتهم وتصويرهم الفني بطريق مباشر وغير مباشر . ولو أن شوقي لم يطلع على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

انتاج شكسبير المسرحي ولم يتشبع بفنه لما أقدم على تأليف مسرحياته الشعرية ولما أخرج لنا الروائع من شعره مثل مجنون ليلى ومصرع كليوبترة وعنترة وقمبيز وأميرة الأندلس وغيرها . بل اني لأذهب إلى أبعد من هذا فأقول ان شوقي في « مصرع كليوبترة » حذا حذو شكسبير في فنه المسرحي في بعض أحداث الرواية وفي بعض المشاهد المسرحية . وحاول شوقي أن يتسم انتاجه بالخصوبة والتشعب مثل شكسبير .

وقد نظم شوقي قصيدة من عيون شعره في ذكرى شكسبير والقصيدة همزية استهلها بالمجد الذي تحرزه انجلترا في البحار وفوق الجزيرة . وأخذ يزهو بنظامهم الدستوري وشاعرهم شكسبير . فما أنجبت انجلترا مثله شاعراً وما تغنى طائر بأعذب من شعره . وبذكره وصل مجد الجزيرة إلى النجوم الزهر في السماء إذ كشف الشاعر عن سرائر النفوس وكوامن القلوب . وشعره ملهم يصدر عن نفس موحية . ومعانيه أبكار كالعذارى ومسرحياته ككتاب الدهر فيها شتى العبر وفيها الإضحاك والابكاء وفيها الأفراح والأتراح وفيها الآهات والبسمات تأمله يقول :

ما أنجبت مثل شكسبير حاضرة ... ولا نمت من كريم الطير غناه
نالت به وحده انجلترا شرفا ... ما لم تنل بالنجوم الكثر جوزاه
لم تكشف الشعر لولاه ولا بليت ... لها سرائر لا تحصى وأهواه
شعر من الذوق الاعلى يؤيده ... من جانب الله الهام وايحاه
من كل بيت كآي الله تسكنه ... حقيقة من خيال الشعر فراه
وكل معنى كعيسى في محاسنه ... جاءت به من بنات الشعر عذراه
أو قصة ككتاب الدهر جامعة ... كلاهما فيه اضحاك وابكاه
مها تمثل ترَ الدنيا ممثلة ... أو تتلَ فهي من الإنجيل أجزاه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد ختم شوقي قصيدته بالدفاع عن شكسبير إذ رماه بعض النقاد بأنه صور الانسان بأنه ذئب متعطش إلى الدماء وأجرى أنهار الدم في مسرحياته وملأها بحوادث الاغتيال والقتل . فقال ان هذه الصور ليست إلا صوراً مستمدة من الحياة ومنتزعة من الواقع . فانظروا إلى العالم كيف تتقاتل الأمم وتتطاحن . ومشى لؤم الحياة في الناس كما مشى آدم فيهم وحواء . ودعا شكسبير أن ينهض من مرقده حتى يهزّ بقلمه دولة الظلم ويحطم صروح الطغيان في أركان العالم . وقد سطر لهؤلاء الباغين صفحة سوداء هي العزاء الوحيد والبلسم الشافي الذي يخفف الآلام ويمسح أتراح البائسين اليائسين في خضم الحياة الرحيب .

ولم يكن أثر شكسبير قاصراً على شعر شوقي فحسب انما امتد إلى شعر حافظ فصور حافظ في إحدى قصائده الرائعة خنجر مكبث الذي يتراءى أمام بصره وهو ينزعه من غمده في الليل البهيم فيتألق كاللهب ثم يحمله والرهبة تملأ جوانحه ليجهز على ضيفه الملك (دنكان) ليثل عرشه ويحتفظ بالملك لنفسه ويخضع الرعية لامرته . وللشاعر محمد الهراوي . قصيدة أخرى في نفس هذا الموضوع نشرها بالهلال منذ سنوات ولنعد الآن إلى قصيدة حافظ .

صور حافظ خنجر مكبث تصويراً أدبياً ونفسياً خلاباً جذاباً وضع قصيدته في مصاف الشعر الرفيع . والقصيدة حلوة اللفظ جيدة الصوغ ماهرة الأسلوب استخدم فيها حافظ كل ملكاته الفنية ليسمو بها إلى فن شكسبير وجاء فيها .

كأني أرى في الليل نصلا مجردا ... يطير بكفتا صفحتيه شرار
تقلبه للعين كف خفيـة ... ففيه خفوق تارة وقرار
يماثل نصلي في صفاء فرنده ... ويحكيه منه رونق وغرار
أراه فتدنيني إليه شراستي ... فينأى وفي نفسي إليه أوار

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقد صور حافظ ابراهيم في هذه الأبيات الصراخ النفسي العنيف أو ما يطلق عليه وليم هازلت (الصراع الداخلي) Intérnal Conflict الذي يجيش في صدر بطل المسرحية . والفضل في ذلك بالطبع يرجع إلى شكسبير المصور الأول لهذا الصراع ولكن حافظ ابراهيم في الواقع وحقيقة الأمر كان موفقاً في النقل عن أمير شعراء الانجليز .

ويصل المشهد إلى الذروة وتعتري (مكبث) رغبة جارفة في تنفيذ ما اعتزم عليه فلا مفر من خيانة الضيف . ولا مفر من إسالة الدماء . ولا مفر من أن ينفذ جريمته سريعاً ثم يذهب ليطهر يديه من إثم هذا العار الشائن . فليس هذا الخنجر وهماً من الأوهام أو خيالاً من الخيالات انما هو المنقذ من الضلال والدافع إلى الانتصار .

فان لم تكن وهماً فكن خير مسعد فاني وحيد والخطوب كثار
وكن لي دليلا في الظلام وهاديا فلبلي بهيم والطريق عثار
على الفتك (بدنكان) صحت عزيمتي وان لم يكن بيني وبينك ثار

أما تأثر خليل مطران ثالث الشعراء الثلاثة شوقي وحافظ ومطران بشكسبير فقد تمثل في ترجمته الروائع المسرحية من جهة وفي الابداع في اظهار روح الدراما والتراجيديا في قصصه الشعرية من ناحية أخرى .

فلمطران بعض القصص الشعرية مثل قصة « وفاء » التي صور فيها مأساة فتاة عوادة وقصة العقاب التي جرت حوادثها في وادي النيل وقصة فنجان قهوة التي تمثل بعض مظاهر ظلم الملوك وطغيانهم وقصة الجنين الشهيد الفريدة النوع في الأدب العربي الحديث . ومطران لم يحسن هذا النوع من القصص الشعري ولم يحسن عرضه وتصوير مشاهد أشخاصه وأبطاله إلا لأنه ترجم روائع المسرح

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغربي وبعض مسرحيات شكسبير ولمس طرق الحبكة الفنية وصراع النوازع في الدراما . والتمهيد الذي يسبق المأساة في التراجيديا وما إلى ذلك .

ان فضل شكسبير على الأدب العربي فضل لا ينسى وأعتقد أنه سيظل فترة طويلة أخرى من الزمان وذلك بسبب الحركة المباركة التي قامت لترجمة آثاره الأدبية وان جاز لنا نصح في ختام هذا المقال فهو أن ندعو المترجمين إلى الترجمة من الأصل الانجليزي لا من الأصل الفرنسي حتى لا يتورطوا فيما تورط فيه خليل مطران والله أعلم .

الدكتور جمال الدين الرمادي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net